الكُرد والآشوريون في هكاري التعايش وصراع الهوية ١٨٤٠-١٩٢٠

أ.م.د.هوگر طاهر توفيق
جامعة زاخو
فاكلتي العلوم الإنسانية
سكول الآداب
قسم التاريخ

الخلاصة:

تشغل مسألة الأقليات في كُردستان خلال العصر الحديث حيزاً مهماً من تاريخ المنطقة بشكل عام، فإن فهم ودراسة تفاصيل العلاقة بين الكُرد وتلك الأقليات تضفي عاملاً مهما في إلقاء الضوء على الكثير من علامات الإستفهام التي تعاني منها دراسة تاريخ الشعوب التي عاشت في كُردستان خلال تلك المدة، وربما يجد فيه الباحث أجوبة على العديد من المسائل التي تعاني منها المجتمع الكُردستاني لغاية اليوم.

من أبرز فصول علاقة الكُرد بتلك الأقليات هو واقع الحياة التي عاشتها القبائل الآشورية (تياري، تخوما–أو تخيبي–، جيلو، باز، ديز أو دز) في هكاري خلال العصر الحديث، فقد بينت العديد من الدراسات بأن العلاقات الكُردية–الآشورية في هكاري كانت على ما يرام حتى منتصف القرن التاسع عشر لتدخل معتركاً خطيراً بعد ذلك، حاول فيه الطرفان الكُردي والآشوري الاستحواذ على الأرض فيها، فتغيرت علاقات التعايش وحسن الجوار بينهما إلى علاقات تسودها سوء الظن ومحاولة الاستفراد بالأرض التي عاشا عليها كلاهما معاً لقرون عديدة. تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على تلك العلاقات التي سادت بينهما خلال العصر الحديث حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى، وفيها تتبين الخطوط العريضة التي كانت تجمع بين المجتمعين الكُردي والآشوري أو تفرق بينهما في هكاري.

المقدمة:

يُعد البحث والدراسة في مواضيع الأقليات الدينية والعرقية في كُردستان وعلاقتهم بالكُرد خلال العصر الحديث، غاية في الأهمية؛ كونها تلقي الضوء على العديد من الأحداث التي كانت سبباً في إعادة الهيكلة الأثنية في كُردستان بعد الحرب العالمية الأولى، هذه الأقليات التي أثرت عليها تلك الأحداث التاريخية بأن تعرضوا للمذابح تارة وللهجرة من مناطقهم الأصلية دون العودة إليها مرة ثانية تارة أخرى. أما من جانب الكُرد فرغم كل المآسي التي لحقت بهم يكفي القول هنا بأن ظهور تلك المشكلات في كُردستان منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى كانت سبباً مباشراً في عدم تمكن الكُرد من تأسيس دولة قومية لهم على أرضهم التاريخية (كُردستان) وما زال الكُرد يكافحون في سبيل تحقيق حلمهم التاريخي هو تأسيس دولة كُردستان.

ليس القصد من هذه الدراسة هو إضافة معلومات جديدة تخص جانب العلاقات الكُردية–الآشورية في هكاري خلال العصر الحديث، ولكن الغاية منها هي أعادة هيكلة الموضوع ضمن خطة دراسة تقرب القارئ إلى أبرز المراحل التاريخية التي جمعت بين الكُرد والآشوريين والوقوف في تلك المحطات التي تثير جدلاً واسعاً عليها حتى الآن، ومحاولة تفسيرها وفق الأسس العلمية للمنهج التاريخي الحديث.

فرضت طبيعة المادة التاريخية نفسها على خطة الدراسة، حيث قسمت إلى ثلاثة أقسام أو محاور، يبحث المحور الأول الذي أدرج تحت عنوان (مرحلة التعايش السلمي والتبعية حتى أربعينيات القرن التاسع عشر) العلاقات الكُردية–الآشورية في هكاري خلال عهد حكم الإمارة الكُردية في جولميرك التي إمتدت لحوالي أربعة قرون، ويجيب هذا المحور على أسئلة عدة منها مثلاً: كيف كانت العلاقات الكُردية–الآشورية في إمارة هكاري؟ ما هي المصادر التاريخية التي أشارت إليهم خلال تلك المدة؟ هل كان الآشوريون مضطهدون فعلاً إبان العهد الإماراتي في كُردستان أم العكس هو الصحيح؟. أما المحور الثاني الذي حمل عنوان(الندية والمستوى نفسه ١٨٤٠–١٩١٤) فيبحث في تلك المرحلة التي بات الكُرد والآشوريين على نفس المستوى السياسي في هكاري، ففي عهد الأمراء في جولميرك كان الآشوريون تابعين لهم، ولكن بعد زوال حكمهم في منتصف القرن التاسع عشر صار الآشوريون في هكاري مثلهم مثل الكُرد تابعين مباشرة إلى السلطات العثمانية في استانبول، ويلقي هذا المحور الضوء على نقاط عدة منها: ما هي أُس المشكلة التي وقعت بين الآشوريين في هكاري وبين بدرخان بك في سنتي ١٨٤٣ و١٨٤٦؟ ما هي الروايات التاريخية التي تحدثت عن هذا الموضوع والقريبة منها من ناحية الزمان؟ وهل طرأ أي تغيير في حياة الآشوريين بعد ذلك؟ وأين توجهوا في سياستهم للتخلص من الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى؟. بحث المحور الثالث المعنون بـ(البحث عن الإستقلال والدولة ١٩١٤–١٩١٢٠) في تلك الجهود الآشورية سواء العسكرية أم السياسية للحصول على الإستقلال وتأسيس دولة قومية آشورية على غرار القوميات الأخرى في المنقطة، ويجيب هذا المبحث بدوره على أسئلة عدة منها مثلاً: كيف تعامل الآشوريون مع الموقف خلال الحرب العالمية الأولى؟ كيف كانت عملياتهم العسكرية في هكاري؟ ما هي ابرز المحاولات السياسية التي قاموا بها لإقناع الدول الكبرى لتبني قضيتهم في نيل الإستقلال القومي؟.

بخصوص المصادر التي إعتمدت عليها هذه الدراسة، فكانت مختلفة ما بين كتب وثائقية، وكتب رحلات تعود إلى تلك المدة، ودراسات حديثة أجريت حول هذا الموضوع لاحقاً، فعلى سبيل المثال كانت للرحلة التي قام بها الأخوان(ويگرام) إلى هكاري، في بداية القرن العشرين، ودونوا أحداث رحلتهم ضمن كتاب حمل اسم (مهد البشرية: الحياة في شرق كُردستان) وقع مهم في هذه الدراسة كونها تعد المصدر الأول الذي يتحدث بتفصيل دقيق عن الآشوريين وعلاقتهم بالكُرد في الربع الأول من القرن العشرين، وفيه أيضاً معلومات مهمة جداً عن العلاقات الكُردية–الآشورية خلال القرن التاسع عشر. وعند البحث والخوض في مثل هكذا مواضيع لا يمكن الإستغناء عن الكتب الوثائقية التي إحتوت بين دفتيها وثائق مهمة تعود إلى تلك المدة، ويأتي على رأسها من حيث الأهمية لهذا الموضوع الكتاب الوثائقي المعنون بـ(الكورد في الوثائق البريطانية) للباحث (عثمان علي) حيث قام الباحث بترجمة العديد من الوثائق البريطانية التي تعود إلى ساستها في الموصل، وبغداد، واستانبول عن الأحداث التي لها علاقة بالكُرد والآشوريين خاصة في عهد الأمير بدرخان. ولا يمكن هنا إغفال الكتاب المهم الذي يحمل عنوان(قيام النظام الإماراتي في كُردستان وسقوطه: ما بين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر) للباحث (سعد بشير اسكندر) ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي قامت بتحليل العلاقات الكُردية –الآشورية في عهد الأمير بدرخان مستنداً على الوثائق البريطانية وتقارير المبشرين المسيحيين في المنطقة. وما دام الحديث عن المصادر والمراجع فلا يمكن إغفال الكتاب المميز المعنون بـ(المسيحيون في حكاري وكُردستان الشمالية) للباحث الفرنسي (ميشيل شفالييه) الذي تطرق فيه بدقة متناهية إلى أهم العشائر الآشورية في هكاري ومناطقهم الجغرافية، وحلل بالإستناد على الوثائق العلمية واقعهم التاريخي في المنطقة. وأخيراً لا بد من الإشارة هنا إلى مؤلفات الباحث الآشوري (هرمز م.أبونا) خاصة مؤلفه(مذابح بدرخان بك في تياري وحكاري ١٨٤٣–١٨٤٦) ولا يعرف بالضبط هل أن ما ورد في هذا الكتاب يمثل وجهة النظر الآشورية ككل أم تمثل وجهة نظره فقط، لأنه يستند في تفسيره للعلاقات الكُردية–الآشورية على مبدأ العنصرية القومية والعاطفة الدينية، لذلك يجب أن يكون المرء حذراً جداً

عند اخذ أي معلومة أو رأي من هذا الكتاب، وابرز انتقاد يوجه إلى الباحث هرمز أبونا هو انه قد قام بتنصيب نفسه قاضياً يطلق الأحكام، وكان عليه أن يعرف أن مهمة المؤرخ الأساسية هي عرض القضية وليس الحكم عليها، لان القاضي في التاريخ هو القارئ وحده وبيده الحكم.

وأخيراً لا بد من التذكير هنا أنه قد استعمل في هذه الدراسة مصطلح (الآشوريون) بدلاً من مصطلح (النسطوريون) أو (الأثوريون) عند الإشارة إلى مسيحي هكاري، وذلك لان أصحاب الشأن يفضلون إطلاق هذه التسمية عليهم ويطلقونها على أنفسهم، حتى وان كانت هناك بعض الملاحظات التاريخية تؤخذ على هذا المصطلح أي: الآشوري، ولكن هذه القضية تتعلق بهم وبحياتهم كشعب وقضية.

أولاً- مرحلة التعايش السلمي والتبعية حتى أربعينيات القرن التاسع عشر:

المتتبع للمراحل التاريخية التي مرت بها كُردستان خلال العهد العثماني (١٥١٤–١٩٢٣) لا بد له أن ينظر إلى الواقع بنظرة شمولية اكبر وأوسع، ولا ينظر إلى الأحداث التي وقعت في تلك المدة نظرة لا يتعدى خلاله الحادثة التاريخية فقط، ولكن لا بد من النظر إلى الحياة العامة في كُردستان من النواحي (الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية) لكي نقترب من الحقيقة قدر الإمكان التي هي صعبة المنال في عملية البحث التاريخي.

شهدت كُردستان في القرن التاسع عشر بروز مشاكل عديدة عملت على ضرب النسيج الاجتماعي والحياة الاقتصادية والسياسية بشكل عام، بحيث أدت إلى إعادة تركيبتها الأثنية من جديد بعد الحرب العالمية الأولى، كانت النتيجة النهائية هي خسارة كُردستان لتلك الحياة التي افتقرت إليها اغلب شعوب المنطقة، فعند التجوال في كُردستان إبان العصر الحديث حتى الحرب العالمية الأولى، كان يرى فيها من كل ألوان الحياة، فهناك الكُردي، والأرمني، والآشوري، والكلداني، والتركي، والعربي، والفارسي، والآذري، وكان هناك المسلم (السني، الشيعي، العلوي)، واليزيدي، والمسيحي بكافة أطيافه، واليهودي، والزرادشتي، ولكن في الحقيقة كانت الغلبة للكُردي السني في معظم مناطق كُردستان. هذه الحقيقة والحياة التي افتقرت إليها اغلب بقاع الأرض الذين لم يروا إلا قوماً وطيفاً واحداً في أغلب الأحيان، كُردستان كانت حاضنة لكل أنواع الحياة العالمية إذا جاز التعبير.

هنا لا بد من القول بان الحياة في كُردستان كانت طبيعية، ولا يمكن تشبيهها بأنها كانت خالية من المشاكل التي تعاني منها معظم بلاد العالم، كما لا يمكن القبول بالرأي القائل بان كُردستان كانت بقعة من الشر خصوصاً في القرن التاسع عشر حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى، ولم تكن في كل كُردستان خلال العصر الحديث طائفة مضطهدة بعينها كما توصفها أعضاء الحركة التبشيرية المسيحية الذين اجتاحوا كُردستان في القرن التاسع عشر، بل يمكن القول بأنه ما كان يسير على الفقير المسيحي أو اليهودي كان يسير على الفقير الكُردي المسلم، وما كان يتمتع به صاحب النفوذ الكُردي المسلم كان يتمتع به صاحب النفوذ المسيحي أو اليهودي في كُردستان وهلم جرا.

كانت إحدى تلك المشاكل التي عانت منها كُردستان هي مشكلة الأقليات الدينية والعرقية فيها، وكانت المشكلة الآشورية من بينها، فالآشوريون كانوا يسكنون جبال هكاري في كُردستان تركيا الحالية وتُعد الموطن الأصلي للآشوريين القبليين، وكان مركز الحكم– الذي يمثله مار شمعون[1] زعيمهم الديني والدنيوي– تقع في قرية (قدشانس–قوجانس)*. وكان الآشوريون يتوزعون في جبال هكاري بين عدة قبائل لعل أبرزها خمسة وهي(تياري، تخوما–أو تخيبي–، جيلو، باز، ديز او دز) ويترأس كل عشيرة شخص يدير شؤونها يدعى (ملك)[2]. عموماً فأن أراضي العشائر الآشورية في هكاري كانت تشكل رقعة على شكل مستطيل يمتد طوله مسافة (٨٠كم) اتجاهه شرقي غربي ماراً عبر كتل جبل (سات داغ) ووصولاً إلى القمم الجبلية المسيطرة على قرية أشيتا في الغرب، وعرض هذا الشريط لا يتجاوز في حده الأكبر العشرين

كيلومتر. وتوصف هذه المنطقة بأنها ملاجئ طبيعية، نظراً لطبيعة جغرافيتها الجبلية القاسية، ففي هذه الملاجئ الآمنة عاش الآشوريون فيها منعزلين عن العالم لقرون عديدة[٣].

كان الآشوريون إبان العهد العثماني يعترفون بزعامة بطريركهم مار شمعون وبسلطة الأمير الكُردي في هكاري وكان مركز حكمه مدينة (جولميرك). كانت هذه التبعية أقرب إلى الإتحاد منها إلى الخضوع، لأن المراقبة على الآشوريين كانت تتم عن طريق ملوكهم–أي: زعماء قبائلهم– الذين كانوا يشكلون مجلس مار شمعون لحل المسائل الهامة، وكان لهم ممثل في مجالس أمير هكاري أيضاً. وبما أن الآشوريين كانوا محاربين أقوياء فقد كان يترتب على مار شمعون أن يقدم فصائل مسلحة منهم لأمير هكاري في وقت حملاته العسكرية[٤].

بنظرة دقيقة إلى جميع المصادر التاريخية المعنية بالتاريخ الكُردي والآشوري، تكاد تجمع كلها على أن العلاقات الكُردية–الآشورية في جبال هكاري خلال العصر الحديث كانت علاقات جيدة إلى حد بعيد حتى أربعينيات القرن التاسع عشر. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن آشوري هكاري ربما كانوا مختلفين عن كل الطوائف المسيحية الأخرى في كُردستان، من حيث أنهم كانوا لا يختلفون عن الكُرد في شيء سوى الديانة واللغة. فقد كان الآشوريون جماعات مسيحية منظمة قبلياً لم تكن تختلف عن القبائل الكُردية. وكان هؤلاء أكثر مهابة من جميع الطوائف المسيحية الأخرى في كُردستان، وكانوا من الناحية العسكرية نظراء أنداداً لأية قبيلة كُردية شأنهم شأن العديد من القبائل الكُردية يفرضون سيطرتهم على طبقة من الفلاحين اللاقبليين من نساطرة ومسلمين ناطقين باللغة الكُردية معاً[٥]. يقول المبشر الأمريكي بيركنز عن مشاهداته في القرن التاسع عشر أن النساطرة[٦]–الآشوريين– تشابهوا مع جيرانهم الكُرد:" ليس فقط في أسلوب المعيشة، وإنما في السمات الشخصية المفرطة بالتهور والشراسة والشجاعة"[٧]. ويورد الأخوان ويگرام أمثلة عديدة حول مقدراتهم العسكرية، بحيث أنهم لا يقلون عن الكُرد في هذا المجال، نقتبس منها المثال الآتي:

يذكر ويگرام بأن وليام بروان كان شخصاً انگليزياً ومستشاراً للمار شمعون قص عليه القصة الآتية عن قس آشوري طاعن في السن يدعى (توما) وانه كان قد:"ذاع صيته في إحكام الإصابة بالبندقية فطغى على صيته في التقى والتدين، أقبل لزيارة (مستر براون) واخذ يؤكد له مبلغ حبه بالانگليزى ثم سأله عما يتمناه ليحقق له، فأجابه الانگليزى:

–بالتأكيد يا قاشا،لي أمنية أريد منك تحقيقها، اجمع صبيان قريتك وافتح لهم مدرسة وسأزودك بالكتب الكافية.

–لا يا رابي فهذا العمل فوق طاقتي. فأقصى ما يمكنني هو قراءة الصلوات. لكن إن كان يوجد شخص تريد التخلص منه وتحب أن أرديه لك برصاصة فيسرني القيام بالعمل! "[٨].

كان المار شمعون الزعيم الروحي للقبائل (النسطورية) الآشورية المسيحية أحد أهم أتباع مير هكاري وبهذا الصدد يقول ديفيد مكدول:"...بالرغم من ديانته كانت أهمية المار شمعون حقاً في هكاري تأتي في المرتبة الثانية بعد المير نفسه وتفوق مكانة أي زعيم كُردي من الذين كانوا يشغلون منصب قائمقام..."[٩].

لا توجد في بطون المصادر التاريخية التي تعود إلى تلك المدة أي إشارات إلى العلاقات الكُردية–الآشورية في هكاري، فحتى القرن التاسع عشر ربما لا يستطيع المرء من الحصول سوى على بعض مقتطفات تاريخية صغيرة جداً عن هذه العلاقات، وان أول إشارة إليهم كان من جانب مؤرخ الكُرد الأول شرف خان البدليسي، ففي معرض حديثه عن إمارة هكاري وهجوم أوزون حسن(١٤٢٤–١٤٧٨) أمير دولة الآق قوينلو[١٠] عليها خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، يشير إلى آشوري هكاري ودورهم في تنصيب الأمير (أسد الدين كلابي بن عماد الدين) على كرسي الأمارة، يقول شرف خان عنهم:" كان[أي: أسد الدين كلابي بن عماد الدين] في مصر...وكان يلقب بـ(زرين جنك= ذي الذراع الذهب)...بعد احتلال [إمارة هكاري] من قبل جيش حسن بيك أق قوينلو وقتلهم لأميرها عز الدين شير انيطت حكمها من قبل حسن الطويل إلى عشيرة دنبلي التي أدارت شؤونها نيابة عن ألاق قوينلو...كان آنئذ جمع كبير من رعايا ناحية دزي من

النصارى المعروفين باسم أسوري...قد اعتادوا التردد إلى مصر والشام لتعاطي التجارة فوقفوا في القطر الأول على أحوال أسد الدين زرين جنك، وراحوا يتحادثون بينهم عن كفايته وجدارته لتولي حكومة حكاري وإناطتها به، ورأوا من المصلحة أن يتفاهموا معه في ذلك. وأخيراً اتصلوا به وعرضوا عليه مبتغاهم، فلباهم إلى ذلك، ورجع بدلالة منهم إلى ولايته الوراثية، فقضى فيها وقتاً طويلاً، متكتماً بين الطائفة الأسورية متنكراً، وكان من عادة النصارى في الناحية المذكورة، أنهم يسبتون بحمل المؤن والذخائر إلى قلعة دزى، وفي احد أيام السبت (شنبه–شمه–شمو) اخذوا يستعدون لتنفيذ مآربهم، فالبسوا أسد الدين وفئة من رجال العشائر البسلاء، من زيهم الخاص، واخفوا أسلحتهم ومعداتهم الحربية بين حزم الوقود التي شدوها على ظهورهم، واتجهوا إلى القلعة. فلما دخلوا ونبذوا الحمول وراءهم ظهرياً، تسلح جمع من أبطالهم بأسلحتهم الصارمة، وأغاروا على حامية القلعة المؤلفة من رجال العشيرة الدنبلية، فقضوا على فريق منهم بصوارمهم المسممة وأثخنوا فيهم الجراح، وفتكوا بهم الفتك الذريع واستقلوا بالقلعة...ولقد انشد لسان الدهر وفقا لهذه القصة الغريبة هذه الأبيات الطريفة: في يوم السبت، ضرب سكان دير شماسي الخيمة في الأرض العباسية، فشتتوا الجماعة المخالفة، وتقلدوا زمام الحكم هانئين فارغي البال...ولما كانت بوادر هذه النهضة التي قامت بها الدولة الحكارية...في يوم (شنبه–السبت)–الذي يتلفظه سكان تلك المنطقة شنبو– اشتهر حكامهم بعنوان حكام شنبو"[١١].

في هذه الرواية التاريخية هناك دلالات عديدة ترد فيها لعل أبرزها هي عمق العلاقة بين الكُرد والآشوريين في هكاري في تلك المدة، فانه بمجرد مساعدتهم للأسرة الأميرية في هكاري لتتبوأ منصبها من جديد يتبادر إلى الذهن بان الآشوريين كانوا على وفاق تام مع الكُرد فيها وإلا لماذا يعرضون حياتهم لهذا الخطر إن فشلت حركتهم. لذلك يجب تفسير هذه الرواية وفق نظرية الواقع التاريخي أي (الزمن) ولا يمكن تفسيرها وفق نظرية القومية العنصرية كما يحاول بعض المؤرخين الآشوريون تفسيرها وعلى رأسهم هرمز أبونا، فانه قد حمل النص التاريخي أكثر مما يفهم كرواية تاريخية[١٢]. وبنظرة عابرة على هذه الرواية توحي للقارئ بان الآشوريين كانوا يأتون في المرتبة الثانية عددياً بعد الكُرد في هكاري، وإلا لماذا يقومون بمساعدة الأسرة الأميرية الكُردية في هكاري لتعود إلى كرسي الإمارة؟ لماذا لم يقم هؤلاء النصارى بتأسيس إمارة لهم في هكاري؟

لا تشير بعد ذلك المصادر التاريخية إلى أي معلومات عن الآشوريين في هكاري ولا يشير إليهم الرحالة التركي أوليا جلبي الذي زار كُردستان في سنة ١٦٥٥[١٣]. ولكن المعلومات التاريخية تزداد كثيراً حول العلاقات الكُردية–الآشورية بحلول القرن التاسع عشر، بعد وصول البعثات التبشيرية المسيحية إلى إمارة هكاري، والتي ستبحث لاحقاً.

قبل ختام هذا المحور لا بد من إلقاء الضوء على بعض القضايا التي تتعلق بالآشوريين في هكاري وما تزال تثير نقاشاً كبيراً بين الباحثين الكُرد والآشوريين على حد سواء. بداية لا بد من التركيز على عجز المصادر التاريخية عن إثبات متى وجد الآشوريين في جبال هكاري. وهناك آراء ونظريات عدة حول هذا الموضوع، ولكن يجب التأكيد على أن هذا المكان كان الموطن الأصلي للآشوريين وأنهم من سكان كُردستان الأصليين مثلهم مثل الكُرد، واعتماداً على تقاليدهم وتقربهم إلى الكُرد كثيراً يبدو أن تاريخهم في هكاري لا يقل عن تاريخ الكُرد فيها مما يدل على أن هذه الجبال هي جبالهم وهي بالتالي تقع في إمارة هكاري ضمن أراضي كُردستان[١٤].

أما الأمر الثاني فهو الذي يتعلق بأصلهم وبإسمهم، حيث أخذت هذه القضية بدورها جدلاً كبيراً بين مختلف الباحثين في هذا المجال، فالمؤرخون والباحثون الكُرد يصرون على أنهم من الكُرد المسيحيين وإن إسم الآشوريين لم يطلق عليهم إلا بعد وصول البعثات التبشيرية إلى المنطقة في القرن التاسع عشر، وكان يطلق عليهم النساطرة، ويستندون على دلائل تاريخية واثنية في هذا المجال[١٥]، من جانبهم يصر المؤرخون الآشوريون على أنهم ليسوا كُرداً بل يرجع أصلهم إلى الآشوريين القدماء الذين أسسوا اكبر إمبراطورية عرفتها الشرق الأدنى القديم وكانت عاصمتهم مدينة

نينوى[١٦]. هنا لا بد من ترك هذه القضية لأصحابها لكي يقرروا من هم والى أي أصل ينتمون، لأنهم هم أصحاب القضية، ولكن لا بد للمؤرخين والباحثين الآشوريين هنا من الإتيان بدلائل تاريخية موثقة تثبت صحة اسمهم وأصلهم، لأن الآشوريون القدماء وبنظرة كل الباحثين في مجال القوميات في جميع العالم قد ذابوا بين شعوب المنطقة الأخرى مثلهم مثل الشعوب الأخرى كالحثيين، والاكديين، والميتانيين، والكاشيين...الخ. وربما نجد أن في داخل القوميات الأخرى في المنطقة مثل الكُرد، والعرب، والفرس، والأرمن والآذر من ينتمون بأصولهم إلى هذه الشعوب القديمة، لذا يجب أن يعطي المؤرخون والباحثون الآشوريين دلائل قوية في هذا المجال، ولكن في الأخير هي قضية تخصهم هم وحدهم.

ثانياً- الندية والمستوى نفسه ١٨٤٠-١٩١٤:

إذن عاش الآشوريون حتى الثلث الأول من القرن التاسع عشر تابعين للأمير الهكاري في جولميرك، يدفعون له الضرائب السنوية ويقدمون له فرق عسكرية في أوقات الأزمات والحروب، وكانت العلاقات الكُردية–الآشورية طبيعية مبنية على أساس الندية، والتحالف، والعيش المشترك، ولكن تغيير الأمر برمته في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث أدت الأحداث التي وقعت بين سنوات ١٨٤٣–١٨٤٦ إلى إيجاد شرخ عميق بين الكُرد والآشوريين في هكاري ألقت بظلالها بعد ذلك على مستقبلهم في المنطقة. وقد أدت عوامل عديدة إلى هذا التغيير الذي شهدته كُردستان من أبرزها:

١–تحول كُردستان إلى ساحة صراع دولي بين روسيا القيصرية وبريطانيا.

٢–ضعف الدولة العثمانية وبروز ما يسمى في التاريخ العثماني بعهد الإصلاحات العثمانية التي كان من أهدافها فرض السلطة المركزية على جميع الأراضي العثمانية.

٣–وصول البعثات التبشيرية المسيحية إلى كُردستان.

٤–ظهور الفكر القومي الأوربي الحديث وانتشاره في الدولة العثمانية.

مع ظهور هذه العوامل بدأت العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية والعرقية في كُردستان خلال تلك المدة تدخل معتركاً خطيراً، ومنها العلاقات الكُردية–الآشورية في هكاري، ويجمع أغلب الباحثين على أن الدور الأول في تخريب العلاقة الكُردية–الآشورية ترجع إلى المبشرين المسيحيين الذين كانت اكتشافهم في هذه الجبال الوعرة جداً لمسيحيين فيها شيء غريب جداً، يقول ميشيل شفالييه:" أن بقاء قبائل النساطرة متمتعة بنوع من الحكم الذاتي تحت إدارة البطاركة حتى بداية الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤، يعد بلا شك أنموذجا فريداً ومعجزة باهرة في حد ذاته..."[١٧]. ومما يؤكد على إنعزالية هذا المجتمع عن العالم هي تلك الرواية الطريفة التي أوردها نائب القنصل البريطاني في بغداد ريج حيث يتحدث عن:" مغامرات أول رسول تركي عبر أراضي القبائل النسطورية. ولقد أصاب هذا الرجل رعب من هؤلاء أكثر من رعبه من اشد رجال القبائل الكُردية ضراوة. ولشدة دهشته اكتشف بان هؤلاء لم يكن لديهم علم حتى بوجود السلطان"[١٨].

أدت هذه العوامل إلى وقوع أحداث دامية بين الكُرد والآشوريين في إمارة هكاري خلال سنتي ١٨٤٣ و١٨٤٦ راحت ضحيتها العديد من الآشوريين، ويعد بعض المؤرخين بان تلك الأحداث كانت السبب المباشر في نهاية حكم الأمير بدرخان الذي يتهم من قبل الآشوريين على انه أقام (مذابح) لهم وقتل العديد منهم[١٩].

لقد اخذ هذا الموضوع حقه في البحث والتحليل في المصادر التاريخية، ويبدو أن اغلبها أخذت جانباً من الحقيقة، ولم تأخذ بالحقيقة كاملة، ويظهر بان المؤرخين الكُرد كانوا أكثر حياديةً من المؤرخين الآشوريين الذين يغلب على بحوثهم في هذا المجال أسلوب القرن التاسع عشر من استخدام مصطلحات وعبارات هي خارجة عن العلمية التاريخية وتبرز فيها العاطفة القومية والدينية بشكل واضح.

وللوصول إلى الحقيقة التاريخية في هذا الموضوع، الذي يمس بشكل مباشر التاريخ الكُردي الحديث، وكان سبباً في تراجع الكُرد سياسياً بانهيار إماراتهم الإقطاعية في كُردستان التي دامت لحوالي أربعة قرون، لا بد من التعرف وقراءة جميع الروايات التاريخية عنها بتمعن ودقة ومن ثم الحكم عليها، وفي هذا المجال تتواجد روايات عدة، يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أ-رواية المبشرين المسيحيين والقناصل الأجانب:

كانت لتقارير ورسائل هؤلاء دوراً مؤثراً في إنهاء حكم الأمير بدرخان في بوتان سنة ١٨٤٧، وفي التأثير على سمعة الكُرد على المستوى الدولي، حيث وصفوا الكُرد بأبشع وابخس الصفات الإنسانية وصار يضرب بهم المثل في الشر في أوربا وأمريكا. وتبرز في هذا المجال أسماء عدة لعل أبرزهم: المبشر الأمريكي د.اشاهيل كرانت، فقد كان أول مبشر تطأ قدمه ارض النساطرة في هكاري أواخر سنة ١٨٣٩، وهو الذي قام ببناء مركز للإرسالية التبشيرية في قرية اشيتا[٢٠] نهاية أيلول ١٨٤٢[٢١]. والمبشر الانكليزي انسورث الذي يعد ثاني مبشر مسيحي زار نسطوريي هكاري سنة ١٨٤٠ بعد المبشر كرانت[٢٢]. والمبشر الأمريكي جوستن بيركنز مسؤول المركز التبشيري الأمريكي في أورمية. والمبشر الانكليزي (جورج بيرسي بادجر) الذي زار المنطقة في سنة ١٨٤٢[٢٣]، والسياسي البريطاني(كرستيان رسام) الذي عين نائب القنصل البريطاني في الموصل نهاية سنة ١٨٤٣، وقد كانت ينتمي إلى أصول مسيحية كلدانية[٢٤]، وأخيراً وليس آخراً السياسي البريطاني السير أوستن هنري لايارد صاحب الكتاب المشهور (البحث عن نينوى) الذي طبع في لندن سنة ١٨٥٤[٢٥].

نقل هؤلاء (المأساة الآشورية) عبر تقاريرهم وكتبهم إلى الساسة الأجانب والصحف العالمية، أحداث سنتي ١٨٤٣ و١٨٤٦على الشكل الآتي:

يقول رسام عند بدء الهجوم الكُردي على ناحية دز النسطورية في تموز ١٨٤٣:" إن قوة موحدة لبدرخان بك وأمير هكاري نور الله بك قامت بالهجوم على إقليم دز وقتلت عدد كبير من المسيحيين النساطرة وسلبت ممتلكاتهم وان من بين القتلى اثنان(وبعضهم يقول خمسة) من إخوة البطريرك مار شمعون[أوراهم]، وان إحدى شقيقاته قد تم أخذها أسيرة..."[٢٦]. ويضيف:"أن ما يحدث في قرى النساطرة من مذابح تقشعر لها الأبدان...إن الكُرد بعد قتلهم المرأة العجوز شر قتلة[يقصد هنا والدة المار شمعون] وتمزيق جثتها إلى نصفين رموها في نهر الزاب الذي يجري باتجاه الموصل. وصاح القتلة بعد أن رموا الجثة في النهر خذ الخبر إلى ابنك وقولي له أن مصيراً مماثلاً في انتظاره"[٢٧]. ويضيف:" أن المذبحة التي ارتكبها الأكراد ضد النساطرة هي عار في جبين الإنسانية"[٢٨].

أما المبشر الأمريكي د.كرانت الذي بنى مبنى للإرسالية في أشيتا مقابل جولميرك سنة ١٨٤٢: فادعى أن بدرخان أكثر:"المحمديين تعصباً" فهو:"عمود الإيمان...وعدو علني للمسيحية، وانه من غير المحتمل أن يبدي أية شفقة تجاه معتنقيها حالما وقعوا تحت حكمه"، واتهم كرانت بدرخان:"بشن حرب إبادة ضد المسيحيين بتحريض من شيوخ الصوفية والملالي الذين اعتبروها إحسان خاص"[٢٩].

يقول لايارد أن بدرخان كان يلبي أوامر الحكومة التركية عندما قام: "بإبادة النساطرة العزل ونهبهم" كما أن بدرخان كان مسلماً متعصباً تجاه المسيحيين الذين عدهم "كفرة". ووصف لايارد الكُرد أيضاً على أنهم قبائل متوحشة تعارض الإصلاحات التقدمية التي كان يقوم بها الأتراك العثمانيون وتضطهد بشدة الجماعات المسيحية المحلية لأسباب دينية[٣٠].

تقول مصادر البعثة التبشيرية الأمريكية في المنطقة بان النساء والأطفال اخذوا كأسرى عبيد. أما القبيحات والمسنات فقتلن في المواضع التي كن فيها. أما الكنائس العريقة التي تعبدت فيها الأجيال من أبناء القبائل فقد تم سلبها أولاً من ما كانت تحويه وتملكه وبعدها قام الغزاة بهدمها من الأساس وما تحته محولين إياها إلى حطام من الدقيق[٣١].

يقول رسام عن (مذابح) تخوما التي حدثت في خريف سنة ١٨٤٦:"...يقول انه سمع أخباراً تؤكد أن بدرخان بيك أقدم على قتل عدد كبير من نساطرة تخوما ومن الجنسين، وهرب البعض منهم إلى إيران وبعضهم الآخر إلى منطقة برواري بالا. أحرقت جميع القرى ونشر الخراب كليا في المنطقة. وهكذا نرى شعباً كريما ومنطقة مزدهرة أخرى يدمران. لم يبق في المنطقة الآن إلا قبيلتا جيلر وباز وانه من الممكن أن لا يمر وقت حتى يباد هؤلاء عن بكرة أبيهم أيضاً إذا لم يتدخل الباب العالي لإيقاف بدرخان المتعصب وقبل أن يكون الآخرون ضحية وحشيته التي لا تعرف الحدود"[٣٢]، ويقول في تقرير له في ٢ كانون الأول ١٨٤٧:" تعرض القرويون في قرية خاتورية إلى أبشع أنواع العذاب حيث وضعت قطع من الحديد الحار على رؤوسهم..." [٣٣]، أما بادجر فيقول عنها:"كانت المذبحة هذه المرة اكبر، لم ينج احد لا الرجال ولا الأطفال ولا النساء. تم ملء ثلاثة أكياس مملوءة بالأذان المقطوعة من المصابين والأموات وأرسلت كهدية إلى بدرخان بيك"[٣٤].

تكفي هذه الأمثلة القليلة للتعرف على محتوى تقارير هؤلاء المبشرين والقناصل عن تلك الأحداث، ولا حاجة للتفصيل في ذكر هذه الأمثلة، حيث أورد المؤرخ الآشوري (هرمز أبونا) أمثلة كثيرة في هذا المجال، بل انه تتبع (المذابح) من قرية إلى أخرى معتمداً على هذه التقارير التي نشرها القناصل والمبشرون في تلك المدة[٣٥].

لعل ابرز من حلل تلك الوقائع والأحداث وما جاءت به تقارير المبشرين المسيحيين والقناصل الأجانب هما المؤرخان (وديع جويده)[٣٦] و(سعد بشير اسكندر) [٣٧]، لذلك ليس هناك داع إلى الدخول في تفاصيل الرد على ما جاء في هذه التقارير من معلومات مبالغة ومتناقضة، تلك التقارير التي ربما تحوي جانباً من الحقيقة خاصة أنها المرة الأولى في تاريخ النساطرة الآشوريين الطويل مع الكُرد يدخلون في مواجهة مسلحة ومباشرة معهم بهذا الشكل الكبير في إمارة هكاري، لذلك ربما توحي هذه التقارير الخوف الشديد الذي انتاب الآشوريين إبان هجوم بدرخان بك عليهم، لأن من يقرء تلك التقارير يتعرف للوهلة الأولى بان رائحة التعصب الديني تفوح منها بشكل كبير والمبالغة التي أكدها القناصل البريطانيين أنفسهم بعد أن اجروا تحقيقاً مستفيضاً عن هذه الأحداث. فمثلاً يقول نائب القنصل البريطاني في الموصل ستيفنسون للسفير البريطاني كاننغ في استانبول بتاريخ ١٥/حزيران/١٨٤٤:"...ان الكثير من التقارير التي كانت تصلنا من الموصل هي إما تقارير لا أساس لها أو كانت مبالغ فيها كثيراً..."[٣٨]. وجاءت في وثيقة بريطانية تعود تاريخيها إلى ٣١ تشرين الأول ١٨٤٦ بان:"الإصابات في تخوما لم تكن بالحجم الذي وقع في بلاد تياري عام ١٨٤٣ ولم تكن بهذه الفظاعة التي وردت في التقارير السابقة. إن معظم القتلى من المحاربين رغم أن هناك عدداً من النساء والأطفال بين الضحايا. ولم يسرق احد هنا، ولكن تم تدمير القرى وحرقت المزارع..."[٣٩].

على أية حال، لن نتطرق إلى محتوى تقارير المبشرين والقناصل، إلا ما يتعلق بعدد القتلى من الآشوريين في أحداث صيف ١٨٤٣، فحول هذا الموضوع يقول بدرخان بك بنفسه لنائب القنصل البريطاني في الموصل ستفينسون:"...يقول المار شمعون أن عدد القتلى يبلغ ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ شخص والحقيقة أن عدد القتلى لا يتجاوز ٢٠٠٠ قتيل"[٤٠]. ولكن يعطي لايارد في كتابه المعنون (البحث عن نينوى) والمنشور في سنة ١٨٥٤ الرقم (١٠٠٠٠) لعدد قتلى النساطرة. يكتب لايارد عن الموضوع قائلا:" يذكر أن بدرخان بيك قام عام ١٨٤٣ بغزو أراضي تياري وقتل بكل برودة أعصاب ١٠٠٠٠ من سكانها..."[٤١]. لا يعرف بالضبط مصدر معلومات لايارد الذي حصر عدد القتلى بهذا الرقم الكبير، ويبدو أن هذا الرقم(أي: ١٠٠٠٠) قد تعلق بتاريخ الكُرد طيلة القرن التاسع عشر، حيث ذكر هذا الرقم في الحملة التي قادها

مير محمد الرواندوزي على منطقة شيخان وباعدري اليزيديتين سنة ١٨٣٣وانه اسر (١٠٠٠٠) منهم وساقهم إلى عاصمته رواندوز كما هرب (١٠٠٠٠) منهم إلى الموصل[٤٢]. وجاء ذكر هذا الرقم في هذه (المذابح)–أي مذابح الآشوريين–، وجاء ذكر نفس هذا الرقم في الأحداث التي وقعت في ساسون بين الكُرد والأرمن سنة ١٨٩٤[٤٣]. لذلك أليس من البديهي أن يشكك المرء في كل هذه الروايات التي جاءت فيها هذا الرقم بالتحديد وأغلبها ضمن الوثائق والمؤلفات الأجنبية حصراً. ولكن الأغرب من هذا كله هو الاستنتاج الذي ذكره المؤرخ الآشوري (هرمز أبونا) عن عدد قتلى الآشوريين في أحداث سنة ١٨٤٣، والذي لا يحتاج إلى تعليق، حيث يقول ما نصه:"قدر عدد الضحايا بعشرة الآف قتيل، وطبقاً للتقديرات التي أوردتها مراجع البعثة الأمريكية فان خمس سكان القبائل المستقلة التي كان المبشر الدكتور كرانت قد قدر عددهم بـ(١٠٠٠٠٠) نسمة قد قتلوا في المذابح الجماعية التي اقترفها التحالف الكُردي بقيادة بدرخان بك، وهذا يعني بان عدد القتلى هو (٢٠٠٠٠) قتيل. في حين لو اعتمدنا الرقم الذي أعلنه بدرخان بك للقنصل ستيفنسون أثناء مقابلته والذي ذكر بأن عدد المقاتلين الذين أرسلهم بعد ثورة (اشيتا)...كان ٢٦٠٠٠ مقاتل. ولو فرضنا بان كل مقاتل قد قتل شخصان فان العدد الإجمالي للضحايا يكون (٥٢٠٠٠) قتيل"[٤٤]!

ب-الرواية العثمانية:

اختلفت الرواية العثمانية كثيراً عن تلك التقارير التي كان يرفعها القناصل الأجانب والمبشرون المسيحيين في الدولة العثمانية، حيث رأت السلطات العثمانية في الموصل، وأرضروم، وبغداد، أن تلك الأحداث لم ترقى إلى مستوى المذابح وان اغلب من قتلوا كانوا من المسلحين. ويمكن تلخيص الأفكار التي وردت في الوثائق العثمانية عن الحوادث الآشورية في سنة ١٨٤٣ بما يلي:

١–أن بدرخان بك لم يكن مذنباً في هجومه على الآشوريين. يقول خليل كمال والي ارضروم:"ليس لدى بدرخان بك أي ذنب سوى انه أعاد النساطرة إلى حكمه من جديد...لهذا على الدولة العثمانية أن لا تعاقب بدرخان بك"[٤٥]. ويتفق علي باشا والي بغداد مع ما ذهب إليه والي ارضروم بقوله:"...ليس من الصائب معاقبة بدرخان بك لهجومه على هذه الطائفة[يقصد: الآشوريين]" [٤٦].

٢–أن النساطرة هم المعتدون. فقد أكدت الحكومة العثمانية للحكومة البريطانية:" أن النساطرة كانوا هم المعتدون في المعارك التي وقعت بينهم وبين الكُرد..."[٤٧]. وذكرت اغلب الوثائق العثمانية التي تعود إلى ولايات ارضروم، والموصل، وبغداد هذا الرأي[٤٨].

٣–الأسرى: وردت في التقارير العثمانية التي تعود إلى سنة ١٨٤٤ الكثير من المعلومات في أن بدرخان بك يبيع الأسرى النسطوريين في أسواق الموصل، وبغداد، وديار بكر، وحلب[٤٩]. وهنا لا بد من توجيه السؤال الآتي: وهو كيف كان بدرخان بك يبيع الأسرى النسطوريين في أسواق تلك الولايات التي لا تخضع لحكمه وليس له أي سلطة عليها؟!

الوثائق العثمانية العائدة إلى تلك المدة تطرح هذه الأفكار فقط، لذلك فان الدولة العثمانية بنظر المبشرين والقناصل الأجانب فيها هي متهمة أيضاً في تحريض بدرخان بك لضرب الآشوريين، ويبدو انه كان هناك صراع بين الولايات الثلاث(بغداد، الموصل، ارضروم) على منطقة هكاري وإمارة بوتان بشكل عام لإلحاق تلك المناطق بولاياتهم ولإثبات جدارتهم لدى الباب العالي. أما لماذا أخذت الحكومة العثمانية جانب بدرخان بك، فتعود بالدرجة الأساس إلى خوف الدولة العثمانية من هذا النشاط التبشيري في المنطقة، فقد كان حاكم الموصل مثلاً (محمد اينجة بيرقدار) (١٨٣٥–١٨٤٣) يشعر بالخوف من نشاط المبشرين الناجح وسط الآشوريين، ولم يكن راضياً عن بدئهم في بناء مراكزهم، معتبراً ذلك تقليصاً هاماً لنفوذه، وافهم الأمراء الكُرد انه لن يمنعهم إذا ما رغبوا في الهجوم على النسطوريين المخلصين جداً للغربيين. وابلغ الباب العالي عن أبنية المبشرين ووصفها بأنها قلاع محصنة[٥٠].

جـ-رواية بدرخان بك:

جاءت رواية بدرخان بك في تقارير القنصل البريطاني في الموصل (آر.دبليو.سمينسون) الذي التقى ببدرخان بك في جزيرة بوتان بتاريخ ١٠ تموز ١٨٤٤، وقد جرى حوار طويل بينه وبين بدرخان بك، ذكر فيها بدرخان بك روايته عن أحداث صيف ١٨٤٣ بينه وبين الآشوريين على الشكل الآتي: "كان المار شمعون سابقاً الرئيس الروحي للمسيحيين السريان الخاضعين لإمارة بوتان ولم يكن له أي دور في الأمور الدينية للطائفة. علما أن الأمور الدنيوية كانت بيد مجموعة من الأشخاص الذين يدعون هنا بـ(الملوك) وكانوا على علاقة بي. وإذا وقع في السابق خلاف داخل الطائفة السريانية أو بين السريان وأبناء القبائل الكُردية الخاضعة لنا كان يحسم بطريقة ودية بدون تدخل احد، وكانت طبقة الملوك تتعاون مع قريبي نور الله بيك(أمير هكاري) ولم يكن بينه وبين الأثوريين خلاف. ولكن في السنتين الأخيرتين بدأ المار شمعون يتدخل في السياسة بشكل قوي ويحيك المؤامرات ضد الأمير نور الله بيك. وحسب فهمنا أن المبشر الأمريكي مستر جرانت(كرانت) هو الذي حرض المار شمعون وقام بتزويده بالمال لإثارة المشاكل، علماً أن المبشر المذكور قام بتشييد بناية كبيرة على مكان مرتفع في (أشيتا). ففي هذه الأثناء دخل أنصار المار شمعون منطقتنا وقتلوا اثنين من أفراد القبائل الكُردية، وحسب العرف السائد في المنطقة قمنا باعتقال وقتل المجرمين من السريان ثأراً للدماء الكُردية، وبالمقابل قام السريان بقتل أربعة أشخاص آخرين، فقمت بشن حملة ثأرية عليهم وقتل ٨ من السريان. وبينما كانت هذه الأحداث جارية جاءني نور الله بيك، رئيس منطقة هكاري، مطالباً مساعدتي لتأديب المسيحيين السريان لقيامهم بالهجوم على عدة قرى كُردية ونهبها في منطقة جولميرك، ولبيت طلبه وبعد إخضاع السريان المتمردين هناك، غادرت المنطقة تاركاً فصيلاً مسلحاً في أشتيا تحت إمرة زينل بيك، ولكن حال مغادرتي المنطقة قام المسلحون السريان بمحاصرة الفصيل الكُردي هناك وقطعوا عنهم الماء والمؤن مدة ٩ أيام، رغم أن زينل بيك قد استسلم إلا أن العديد من رجاله قتلوا وبعد التزود بالماء عاد زينل بيك إلى القلعة وأرسل إليّ مطالبا النجدة. بعثت قوة قوامها ٢٦ ألف رجل لرفع الحصار عنهم وتأديب السريان، لذلك كما ترى أن النصارى هم الذين سببوا هذه المأساة لأنفسهم ببدئهم الحرب. فالجولة الأولى من الحرب لم تكن ذات أهمية لأنني فقدت من الرجال والمؤن بقدر ما فقده السريان، وحدثت الجولة الثانية من الحرب نتيجة خيانتهم لزينل بيك. ففي هذه المرة سمحت لبعض أفراد القبائل بقتل السريان ووقعت مذبحة. في الحقيقة لم يكن باستطاعتنا لجم غضب الجيش الذي أهينت كرامته وكبرياؤه. أنا متأسف للقيام بالحملة التأديبية ضد المسيحيين دون إشعار السلطة المركزية ولم أتوقع تدخل الدول الأوربية لصالحهم...". ويعقب بدرخان بيك على قول القنصل الإنكليزي بان: السريان يطالبون بـ(١٨٠) ألف رأس من الغنم ومليون بيزة[٥١]، بقوله:"...كيف يسمح المار شمعون لنفسه وهو رجل دين أن يقوم بهذا التضخيم والمبالغة في تقدير الأموال الضائعة، لان كل ما عثر عليه من الأموال كانت أصلاً مخبأة في جرتين في بيت ملك إسماعيل وقام الأمير بتوزيعها بين أتباعه المسلحين، وتمت إعادة جزء من المجوهرات المسروقة من الكنيسة إلى قس في الدير..."[٥٢]. ثم أضاف الأمير بدرخان:" انه وجد المار شمعون حليفاً قوياً [المقصود بريطانيا] لذلك يعتقد أن يكسب المزيد من خلال تضخيمه للأحداث...فمثلاً يقول المار شمعون أن عدد القتلى يبلغ ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ شخص والحقيقة أن عدد القتلى لا يتجاوز ٢٠٠٠ قتيل"[٥٣].

كما كان للمبشرين الأمريكيين روايت وبريث وهما من رجال الإرسالية الأمريكية في أورمية، الذين دعاهما بدرخان لزيارة مقره في جزيرة بوتان في شهر حزيران سنة ١٨٤٦، دور في تعريف بدرخان للعالم الخارجي بشكل أفضل وتبديد الروايات التي نقلت ضده إلى أوربا وأمريكا، فعلى النقيض من بقية المبشرين، تمنى الاثنان بأن يبسط بدرخان سلطته على جميع المناطق التي تواجد فيها النساطرة كي يضع حداً للخلافات الداخلية كالتي وقعت بين سكان توخما وديز حول المراعي. كما رأى بريث في الأمن الذي وفره حكم بدرخان المناخ الملائم لمزاولة النشاطات التبشيرية[٥٤].

لا تحتاج رواية بدرخان بك مزيداً من التعليق، سوى بأن النسطوريين تمكنوا في هذه المرحلة من إنهاء تبعيتهم للكُرد وذلك بسقوط حكم الأمير بدرخان في بوتان على يد الدولة العثمانية سنة ١٨٤٧، ولكن ظلت القبائل النسطورية في تحالف مع نظيرتها الكُردية في هكاري حتى بداية الحرب العالمية الأولى. ويبدو أن فرحة المبشرين المسيحيين كانت كبيرة بهذا السقوط، فقد كتب المبشر الأمريكي جوستن بيركنز في أعقاب سقوط الإمارات الكُردية:" بان سلطة الكُرد الرهيبة التي استمرت لعدة قرون قد انتهت. وان الرب قد فتح الآن الجبال الكُردية أمام الإنجيل"[٥٥]. ويعترف المبشر الانكليزي بادجر:" بان الحملة التركية فتحت أمام المبشرين المناطق الجبلية التي كانت مغلقة في وجوههم"[٥٦].

كانت هذه الأحداث سبباً في تغيير الآشوريين وجهتهم نحو الدولة الروسية، بعد أن علموا بأن احد الأسباب المباشرة لتلك الأحداث التي حلت بهم هو عدم تحرك بريطانيا وأمريكا لنجدتهم خلافاً للوعود التي تلقوها على لسان المبشرين، فقد عاتب المار شمعون للايارد المبشرون الأمريكان أكثر بكثير مما عاتب الكُرد والترك[٥٧].

وقبل ذكر بعض المحاولات الآشورية للتقرب من روسيا، لا بد من التذكير هنا بان العلاقات الكُردية–الآشورية في هكاري دخلت مرحلة أخرى، وهي أن العشائر الكُردية– والآشورية هناك دخلت في تحالف مع بعضها البعض للحفاظ على الأمن ووحدة النسيج الاجتماعي في المنطقة، والحادثة الأبرز التي وقعت بينهم تلك التي حدثت إبان انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري سنة ١٨٨٠ فلم يقم الآشوريون بمساعدة الشيخ عبيد الله النهري في انتفاضته رغم إلحاح الشيخ عليهم. يقول كامساركان نائب القنصل الروسي في وان في إحدى مراسلاته بتاريخ ٢٩ نيسان ١٨٨٠:"كما يبدو...فان عقد الأمل على مساعدة الدولة المسيحية العظمى، منع مار شمعون من التحالف مع الشيخ عبيد الله النهري"[٥٨]. وكان هذا ابرز حدث يقع بين الكُرد والآشوريون بعد سقوط بدرخان بك حتى الحرب العالمية الأولى.

بالعودة إلى المحاولات الآشورية لكسب ود الدولة الروسية، خاصة بعد أن انهارت ثقة الآشوريين ببريطانيا وأمريكا، واعتبرت روسيا بنظر كل الآشوريين في هكاري وغيرها:" أنها المنقذ الوحيد لهم في وضعهم الصعب الذي لا مخرج لديهم فيه"[٥٩]. ويبدو أنهم رأوا في المذهب الأرثوذكسي المسيحي الأقرب إلى مذهبهم الديني أيضاً، ربما كان هذا أيضاً من أحد الأسباب التي دفعت الآشوريين إلى كسب ود روسيا وأخذهم في رعايتها.

فعلى سبيل المثال كتب المار شمعون (روئيل الثامن عشر) رسالة في سنة ١٨٦٨ إلى القيصر الروسي نيقولا الثاني (١٨٦٨–١٩١٨) جاء فيها:"لقد عرفتم فيما مضى من الوقت وسمعتم بحال النساطرة، وهم شعب من أناس فقراء، يعيشون في جبال كُردستان. لقد احتل الأكراد بالقوة العديد من كنائسنا وأديرة راهباتنا، وهم يخطفون عذراوتنا، وعروساتنا ونساءنا مجبرين إياهم على الدخول إلى الإسلام. لقد قام الأتراك ولعشرين سنة أو أكثر بوضع اليد على البلاد، لكنهم أسوأ من الأكراد. إننا نلتمس من عظمتكم، من اجل يسوع ومعموديته وصليبه أن تخلصونا من هذه الحالة أو تجدوا لنا علاجا"[٦٠].

كما قام الآشوريون بعد ذلك بمراسلة الدولة الروسية مرات عدة ولكن دون تحقيق آمالهم المرجوة[٦١]. وابرز محاولاتهم في هذا المجال والتي كانت ربما ستؤتي لهم ببعض النتائج الايجابية لولا اندلاع الحرب العالمية الأولى، كانت تلك التي قام بها المار شمعون بنيامين سنة ١٩١٣، بان عرض على روسيا الدخول في المذهب الارذوكسي لرعاياه البالغين السبعين ألفاً وفرض الحماية الروسية عليهم، ولكن بسبب البطء الروسي فضلاً عن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون تحقيق هذا الأمر[٦٢].

ثالثاً- البحث عن الاستقلال والدولة ١٩١٤-١٩٢٠:

تسارعت الأقوام التي كانت تعيش ضمن حدود الدولة العثمانية إلى الإعلان عن مشاريعها القومية، بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، بهدف الحصول على الاستقلال وتأسيس دولة قومية والتخلص من الهيمنة العثمانية. دخلت كُردستان ضمن تلك المشاريع القومية، وقد نشأت معضلة حقيقة فيها وذلك لكثرة الأقوام التي قامت بإدخال أراض كُردستان ضمن دولهم القومية، وكان المشروع القومي الآشوري هو الأضعف مقارنة بالمشاريع القومية الأخرى، وه

أ-طوران:

يقول المفكر التركي–الكُردي الأصل–ضياء كوك ألب:"أن الوطن بالنسبة للأتراك ليس تركيا ولا كُردستان أن الوطن بلاد شاسعة وأزلية انه طوران"[٦٣].

في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ أعلن السلطان محمد الخامس(١٩٠٩–١٩١٨)، الحرب ضد روسيا، وناشد الرعايا المسلمين في دول الحلف–أي في بلاد المسلمين التي تسيطر عليها كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا– للمشاركة في كفاح مشترك مع الإمبراطورية العثمانية[٦٤]، وقد ألقت الحكومة العثمانية بكل ثقلها في جبهة القوقاز، والهدف الأول من ذلك كان، كما أراد الاتحاديون منها، هو فتح أسيا الوسطى والاتصال بالأقوام التي تتكلم اللغة التركية، ومحاولة ضمها إلى الدولة العثمانية، وبالتالي تشكيل الوطن التركي الكبير (طوران)[٦٥]. فان المتتبع لخارطة الحروب العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى سيرى بوضوح بان الدولة العثمانية قد وضعت ثقلها العسكري في جبهتها الشرقية والتي تقع في كُردستان تركيا الحالية، وكانت من أشرس معاركها ضد الروس هي معركة ساريقاميش(٤/١٢/١٩١٤–١٨/١/١٩١٥)[٦٦].

ب-كُردستان الكبرى:

ظهر المشروع القومي الكُردي بوضوح بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وتتبين خطوطه العامة في التقرير الذي قدمه شريف باشا إلى مؤتمر السلام في باريس في آذار ١٩١٩، وبإلقاء نظرة دقيقة إلى مشروع الدولة القومية في تقرير شريف باشا يتبين بأن الخارطة المرفقة بها تقريباً هي نفس الخارطة التي كان قد أشار إليها مؤرخ الكُرد شرف خان البدليسي في كتابه الشرفنامة الذي كان قد انتهى من تأليفه سنة ١٥٩٦. وتضم جميع أراضي كُردستان الدولة العثمانية وكُردستان إيران[٦٧].

جـ-أرمنستان الكبرى:

منذ بداية فصول المسألة الأرمنية سنة ١٨٧٨[٦٨]، والأرمن كانوا يطالبون بالولايات الست التي تمثل في نظرهم أرمينيا الغريبة وهي تقريباً معظم أراضي كُردستان العثمانية، وكانت تشمل الولايات:(وان، بتليس، ديار بكر، معمورة العزيز، ارضروم، سيواس)، وكانوا يطالبون بدمج هذه الولايات الستة مع أرمينيا الشرقية التي مركزها مدينة يرفان لتأسيس أرمينيا الكبرى. ولكن تم وأد هذا المشروع بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى[٦٩].

د-آشورستان الكبرى:

يمكن تقسيم العمل الآشوري في سبيل نيل حقوقهم القومية إلى قسمين، هما:

١-العمليات العسكرية:

على ضفاف دجلة تقع المدينة المقدسة، نينوى

أسوارها يجب أن تكون تيجانا لنا وأكاليل

هناك فقط، يضع الآشوريون حجر الأساس لكيانهم

إننا سنذهب للقتال هاتفين باسمك يا مار شمعون[٧٠]

في ربيع سنة ١٩١٥ قامت العشائر الآشورية في هكاري وعلى رأسها عشيرة (جيلو) بانتفاضة استجابة لنداء مار شمعون بنيامين معتمدة في ذلك على وصول مساعدات روسية إلا أن تلك المساعدات لم تصل، ووجهت الحكومة العثمانية عدداً كبيراً من القوات للانتقام من الآشوريين وانضمت إليها القبائل الكُردية التي كانت لها عداء مع الآشوريين وأبدى الآشوريون مقاومة ضارية إلا أنهم لم يتمكنوا من الصمود وقتل منهم عدد كبير وانسحب الباقون إلى مدن أورمية، وسلماس وخوي، في كُردستان إيران يقودهم المار شمعون[٧١].

قام الروس في أورمية بأخذ المار شمعون تحت رعايتهم، يمدونه بالسلاح والمؤن حتى اندلاع ثورة أكتوبر ١٩١٧ حيث انسحبت الجيوش الروسية من جميع جبهات القتال[٧٢]. وبعد الانسحاب الروسي من أورمية تشكلت كتائب آشورية بمساعدة فرنسا وبريطانيا بهدف ملئ الفراغ العسكري الذي أحدثته انسحاب الجيش الروسي، وكان للزعيم الآشوري أغا بطرس دوراً كبيراً في هذه الكتائب[٧٣].

ولكن تلقى الآشوريون ضربة موجعة، ربما كانت الأكبر في تاريخهم خلال العصر الحديث، وقضت على حلمهم القومي بتأسيس دولة لهم في (أورمية، وهكاري، وبتليس)، وهو مقتل زعيمهم المار شمعون بنيامين في ٣ آذار ١٩١٨ في قرية كونه شهر قرب سلماس على يد الزعيم الكُردي سمكو شكاك، وقد هاج الآشوريون بعد ذلك وانتقموا لمقتل زعيمهم المار شمعون ثم هاجروا كُردستان إيران نحو الأراضي العراقية التي صارت ملاذاً لهم بعد ذلك[٧٤].

لقد أثيرت هذه القضية نقاشاً دون حدود أو حتى ضوابط علمية بين المؤرخين الكُرد والآشوريين على هذه الحادثة التاريخية التي تمس التاريخ الكُردي والآشوري معاً، وقد نعت الآشوريون سمكو شكاك بصفات (الخيانة والغدر) وانه كان السبب الأساسي في ضرب حلمهم القومي وتأسيس دولة مستقلة لهم. ولكن من جانب أخر وإذا نظرنا إلى هذه الواقعة بنظرة أوسع وأشمل، يبدو أن سمكو شكاك قد تصرف وفق قواعد اللعبة السياسية التي كانت تسير عليها كُردستان إيران وهو نهج الاغتيالات للتخلص من الخصوم السياسيين والعسكريين، فسمكو شكاك عانى من هذا الأمر أيضاً حيث قتلت السلطات الإيرانية اثنان من إخوته بل لقد اغتيل سمكو شكاك نفسه على يدها سنة ١٩٣٠[٧٥]، فضلاً عن ذلك كله، ومن خلال نظرة دقيقة إلى حوار سمكو شكاك مع مصطفى باشا ياملكي يظهر بان سمكو شكاك كان قد تخوف كثيراً من الآشوريين في كُردستان إيران التي رآها تحت سيطرته بشكل مطلق وان لا خوف على سلطانه فيها إلا من القوة الآشورية العسكرية التي كانت مدعومة من بريطانيا وفرنسا، وكان يتخوف من تأسيس دولة قومية آشورية على ممتلكاته، لذلك فكر سمكو وفق قواعد اللعبة السياسية في إيران، خاصة إذا ما علمنا بأن المشاريع القومية لكلا القوميتين الكُردية والآشورية كانتا تتناقض بشكل كبير في كونهما يتصارعون على نفس البقعة من الأرض فعلى الأحد منهما أن يباغت الأخر وبأسرع وقت ممكن[٧٦].

٢-السياسة الآشورية:

مثل الأقوام الأخرى في المنطقة نظر الآشوريون إلى أنفسهم كشعب نظرة استعلاء على أساس أن لهم أصل وتاريخ عريق ربما لا يضاهيهم احد في المنطقة، يذكر ويگرام بان الآشوريين يفتخرون بأصولهم ويأتي بهذا الحوار الذي جرى بين ويگرام وبين رجل آشوري قبل الحرب العالمية الأولى:" قال رجل من رجال القبائل المسيحية يوما: أن أعظم شعب في العالم كله هو الشعب الانكليزي. ثم يليه التياري...ثم يليهما بمسافة كبيرة، الشعب الروسي، وليس هناك شعوب غير هذه الثلاثة"[٧٧].

بناءً على ذلك فكر الآشوريون بالاستقلال مثلهم مثل الشعوب الأخرى، في إنشاء دولة آشورية مستقلة، وقد عبر عنه البيان الذي أصدره الآشوريون في ٢٨ حزيران ١٩١٧ تحت أسم (وحدة واتحاد آشور الحرة) وأشار بنده الأول بشكل واضح إلى الاستقلال، حيث جاء فيه:"يعتبر هدف وتطلعات اتحاد آشور الحرة هو تطبيق الإدارة القومية في الوقت القريب

على المناطق التالية: أورمية، موصل، طور عابدين، نصيبين، الجزيرة، جولميرك. ضمن إطار روسيا العظمى الحرة بشرط أن يكون من الناحية العسكرية والتجارية والصناعية تابعة لروسيا العظمى"[٧٨].

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أرسل الآشوريون وفوداً عدة إلى مؤتمر السلام في باريس لتمثيلهم فيها، ولكن يبدو أن احداً من تلك الوفود لم يتمكن من حضور جلسات هذا المؤتمر[٧٩]، ولكن رغم ذلك وجه الآشوريون رسالة إلى المؤتمر حددوا فيها مطالبيهم القومية، كانت الرسالة الآشورية تحمل عنوان (مطاليب الأمة الآشورية–الكلدانية) مؤرخة في ١٦ تموز ١٩١٩، وبعد تفاصيل عدة جاءت في بداية الرسالة الآشورية عن تاريخهم ومناطق سكناهم وعن عددهم الذي ذكر فيها أنهم يبلغون (مليون وخمسمائة وعشرين ألفا) عدا (٢٥٠) ألفا من الرجال الذين ذهبوا ضحية الحرب العالمية الأولى. جاءت مطالبهم على الشكل الآتي فيها:

أ–تأسيس حكومة وطنية تكون مستقلة في إدارة أحكامها وتدبير شؤونها تحت اسم (الكلدانية الآشورية) وهذه الدولة يجب أن تشمل كل ولاية الموصل.

ب–ولاية آمد(أي: ديار بكر) خلا الجهة الشمالية من نهر موراد صو الذي هو فرع من نهر الفرات الأعلى.

جـ–الأراضي التي هي من سنجق حلب والرها، وسنجق سعرد الذي هو من ولاية بتليس، وسنجق حكاري التابع لولاية وان.

د–أراضي أورمية وسلامس(سلماس) في الجهة الغربية من بحيرة أورمية التي لم تزل تابعة لمملكة فارس...إعطاء منفذ لهم في خليج الأسكندرونة وخليج العجم(الفارسي)[٨٠].

لم تتحقق المشروعات القومية الثلاث (الكُردية، الأرمنية والآشورية) ولم يتمكنوا من تأسيس دولهم القومية الخاصة بهم، حيث ما لبثت أن سيطرت الحركة الكمالية على جميع الولايات في كُردستان تركيا وأسسوا في سنة ١٩٢٣ الجمهورية التركية الحديثة.

الخاتمة:

تؤخذ على الآشوريين بأنهم كانوا يفتقدون إلى الواقعية السياسية، ويظهر هذا الأمر جلياً في رسالتهم إلى مؤتمر السلام بباريس، فقد كان على زعماء الآشوريون أن يعرفوا حجم تكتلهم السكاني والجغرافي لكي يبنوا عليها واقعهم السياسي، صحيح أن الآشوريين كانوا يأتون في المرتبة الثانية من حيث عدد السكان في هكاري، ولكن يطرح سؤال نفسه هنا وهو هل كان باستطاعتهم تأسيس دولة قومية لهم في هكاري؟ فمن خلال مضامين هذه الدراسة بينت انه كان من المستحيل على الآشوريين تأسيس دولة قومية لهم في هكاري أو في المناطق الأخرى، فلم يتمكن الآشوريون من فرض أنفسهم في أقوى مناطقهم ونعني بها هكاري حيث كانوا يملكون تنظيماً قبلياً قوياً يشبه التنظيم القبلي الكُردي إلى حد بعيد، أما الآشوريون خارج هكاري في ديار بكر وولاية الموصل آنذاك، فلم يكن لديهم تلك القوة التي كان آشوري هكاري يتمتعون بها، لذلك تطلق المصادر التاريخية عليهم تسمية (رايا أي: الرعية).

ومن خلال الاطلاع على المطالب الآشورية في رسالتهم إلى مؤتمر السلام بباريس يظهر بان طموحاتهم القومية كانت ضرباً من الخيال، ونرى بوضوح بان الآشوريين طلبوا بمنطقة كبيرة وواسعة، بل حتى طالبوا بمنفذين بحريين على البحر المتوسط والخليج العربي الذي ربما لم يكن يعيش فيها حتى آشوري واحد فقط.

كثيراً ما يقال بان الآشوريين تمكنوا لوحدهم من الصمود في الجبال ضد الكُرد، ولكن بنظرة فاحصة إلى حياتهم في هكاري يظهر بان حفاظهم على كيانهم كان بسبب عقلية الإنسان في كُردستان خلال العصر الحديث من حيث تقبل الواحد للآخر والاستعلاء على الفروقات القومية والدينية، فمتى ما أُخِلَ بهذا التحالف من قبل طرف ما في كُردستان نرى بان النسيج الاجتماعي الذي حافظت عليه المنطقة لقرون عدة يتبدد وينهار في لحظات قصيرة جداً، والحالة الآشورية اكبر دليل على ذلك، ففي أي لحظة اخل الكُرد أو الآشوريين بعهودهم وتحالفاتهم السابقة كانت تحدث وقائع مأساوية بينهم وكانت الغلبة في معظم الأوقات للكُرد ليس لسبب أخر سوى لكثافتهم السكانية في المنطقة، مما يؤكد على أن تلك الأرض هي كُردستان ولكنها الموطن الأصلي لكل القوميات والأطياف التي تعيش عليها وليس للكُرد فقط. ويتبين بان الصراع بين الآشوريين والكُرد كان في ظاهره صراعاً قبلياً أو بين تابع ومتبوع، ولكن الصراع في حقيقته كان صراع الهوية صراع الأرض هل هي كُردستان أم آشورستان؟

الهوامش

(١) مارشمعون: لقب اطلق على البطاركة النسطوريين(الاشوريين) منذ القرن السادس عشر وتعني (السيد المحترم). ينظر: ق. ب. ماتفييف (بارمتي)، الآشوريون والمسألة الآشورية في العصر الحديث، ترجمة: ح. د. آ، دمشق، ١٩٨٩، ص ص٤٦–٤٧؛ العميد جي. كليبرت براون، قوات الليفي العراقية ١٩١٥–١٩٣٢، ترجمة وتحقيق: د. مؤيد ابراهيم الوندواي، مراجعة: رفيق صالح، بنگەی ژین، السليمانية، ٢٠٠٦، ص٢٥

* اتخذ المار شمعون قرية قدشانس او قوجانس في جبال هكاري مقراً له سنة ١٦٦٢ بعد صراع مع الطائفة النسطورية الأخرى الذين بدلوا مذهبهم واعتنقوا المذهب الكاثوليكي وصاروا يدعون بـ(الكلدان). ينظر: الأب د.جي.سي.جي. ساندرس، المسيحيون الآشوريون–الكلدان في تركيا الشرقية وإيران والعراق: أطلس خرائط–إعادة رسم خريطة آخر وطن لهم، ترجمة: نافع توسا، مراجعة وتحقيق: الأب د.يوسف توما، بغداد، ٢٠٠٧، ص٣١؛ د.سعد بشير اسكندر، قيام النظام الإماراتي في كُردستان وسقوطه: ما بين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥، ص٣٣٠–٣٣١.

(٢) هنري فيلد، جنوب كُردستان: دراسة انثروبولوجية، ترجمة: جرجيس فتح الله، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠١، ص١٥١–١٥٢؛ الأب د.جي.سي.جي. ساندرس، المصدر السابق، ص٤٥–٤٦. عن عشائر هكاري المسيحية والمسلمة ينظر كذلك: ب. لرخ، دراسات حول الكورد الإيرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين، ترجمة: د.عبدي حاجي، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٨، ص ص٦٢–٦٤.

(٣) ميشيل شفالييه، المسيحيون في حكاري وكُردستان الشمالية: الكلدان والسريان والآشوريون والأرمن، ترجمة: نافع توسا، مراجعة وتقديم: الأب د. يوسف توما مرقس، شركة الأطلس للطباعة المحدودة، بغداد، ٢٠١٠، ص٦٧؛ ق. ب. ماتفييف (بارمتي)، المصدر السابق، ص ص٣٨–٣٩.

(٤) جليلي جليل، من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية، ترجمة:محمد عبدو النجاري، الأهالي، بيروت، ١٩٨٧، ص١٢٧.

(٥) مارتن فان برونسن، الأغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكُردستان، ترجمة: امجد حسين،ج١، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد– بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٦٩؛ ينظر كذلك: ميجرسون (ميرزا غلام حسين شيرازي)، رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان، ترجمة: فؤاد حسين، ج١، بغداد، ١٩٧٠، ص٢٠٢.

(٦) نسبة إلى نسطوريوس وقد كان لاهوتيا من أنطاكيا انتخب لكرسي بطريركية القسطنطينية سنة ٤٢٨م، وكان يرى أن للسيد المسيح طبيعتين، طبيعة إلهية وأخرى بشرية، وقد ربط بينهما اتحاد أدبي بسيط. ينظر: د. فرست مرعي، تاريخ التبشير المسيحي في كُردستان، السليمانية، ٢٠١١، ص ص٣٠–٣٢؛ د. عبد الفتاح علي البوتاني، دراسات ومباحث في تاريخ الكورد والعراق المعاصر، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٧، ص٢٤.

(٧) د.سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص٣٣٤.

(٨) دبليو. أي. ويگرام وادگار. تى. أى. ويگرام، مهد البشرية: الحياة في شرق كُردستان، ترجمة: جرجيس فتح الله، ط٤، دارا ئاراس للطباعة والنشر، أربيل، ٢٠١٠، ص٢٢٧.

(٩) ديفيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج ال محمد، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٤، ص٩٤.

(١٠) حكمت هذه الدولة شمال كُردستان وأذربيجان بين سنوات (١٤٦٨–١٥٠٨) وكانت قد اتخذت من ديار بكر مقراً لحكمها. للمزيد ينظر: ستانلي لين بول، تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري، ترجمة: مكي طاهر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٧٤–٢٧٥.

(١١) الأمير شرف خان البدليسي، شرفنامه، ترجمة: محمد جميل الملا احمد الروژبيانى، ط٢، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠١، ص ص٢٣٨–٢٤٣.

(١٢) ينظر مؤلفه: الآشوريون بعد سقوط نينوى: القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري والأقاليم الآشورية المحيطة بها، المجلد الخامس، شيكاغو–الينوي، ١٩٩٩، ص ص١٧٢–١٧٨.

[١٣]ينظر: رحلة أوليا جلبي في كُردستان عام ١٠٦٥هـ –١٦٥٥م، ترجمة: رشيد فندي، دهوك، ٢٠٠٨.

[١٤]هناك نظريتان حول أصل النساطرة الآشوريين في جبال هكاري، الأول نادى بها المبشر الأمريكي د. كرانت وتقول"أن النساطرة هم مواطنون أصليون..." هذه النظرية تتعارض مع الاكتشافات الأولية التي أنجزت على يد الانكليزيون (انسورث، بادجر، لايارد) بحسب هؤلاء: النساطرة هم لاجئون أتوا من سهول بلاد ما بين النهرين واستوطنوا المناطق الجبلية خلال القرنيين الرابع والخامس عشر أي أثناء الاجتياح المغولي التركي للمنطقة. ويؤيد الباحث المتخصص في التاريخ الآشوري ميشيل شيفالييه ضمنياً ما ذهب إليه د.كرانت في أن النساطرة الآشوريين هم سكان المنطقة الأصليون اهتدوا إلى الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي. للمزيد ينظر: ميشيل شيفالييه، المصدر السابق، ص١٦٥–١٦٨؛ زيا كانون، الحلقة المفقودة في تاريخ الآثوريين (الآشوريين)، شيكاغو–الولايات المتحدة، ١٩٩٧، ص٩٧ وما بعدها.

[١٥] ينظر: صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكُردية أو إمارة العمادية، تقديم ومراجعة: د.عبد الفتاح علي بوتاني، ط٢، دار ئاراس للطباعة والنشر، دهوك، ١٩٩٩، ص١٠٥–١١٠؛ صلاح هروري، إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان ١٨٢١–١٨٤٧: دراسة تاريخية سياسية، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٠، ص ص١١٠–١١٢؛ العميد جي. كليبرت براون، المصدر السابق، ص ص٢١–٢٢.

[١٦]يقول احد الباحثين يدعى (جي. جوزيف):" بسبب الموقع الجغرافي لإقامة بطريركهم سمى السريان الشرقيون أو النساطرة أنفسهم كلداناً. هذا يعني أن التسمية لم تكن على أسس عرقية. لقد عممت الكنيسة الكاثوليكية استعمال التسمية(كلدان) كما فعلت البعثة التبشيرية الانكليكانية التي عممت التسمية (آشوريين). إن الآشوريين لم يدعوا لأنفسهم تسمية الآشوريين إلا عند نهاية القرن ١٩...". ينظر: ميشيل شيفالييه، المصدر السابق، ص١٨٠. ويضيف الاب د.جي.سي.ساندرس بخصوص تسمية الكلدان: في قاموس وضع عام ١٦١٢ نلاحظ أن معلمي الكتاب المقدس أعطوا لآرامية الكتاب المقدس–يقصد أصحاب الكنيسة الشرقية (النسطوريون) في شمال العراق وكردستان الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي– اسم (الكلدانية) المشتقة من (كلدو) وهذه المفردة هي تسمية لشعب سكن منطقة الأهوار في جنوب العراق وكان ذلك حوالي ٢٠٠٠ق.م. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص٣١. للتفاصيل عن كنيسة المشرق وانشقاقاتها، ينظر: هرمز م. أبونا، الآشوريون بعد سقوط نينوى: صفحات مطوية من تاريخ الكنيسة الكلدانية، مج ٨، كاليفورنيا، (د.ت).

[١٧]ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص١٧.

[١٨]نقلاً عن: مارتن فان بروينسن، المصدر السابق، ص٢٦٩.

[١٩]سيأتي الحديث عن هذا الموضوع لاحقاً ضمن محاور هذا البحث.

[٢٠] نظراً للمكانة المقدسة التي كانت تتمتع بها قرية اشيتا لدى النسطوريون المسيحيون في هكاري، فكان يطلق عليها تسمية (روما النسطورية). ينظر:الأب د.جي.سي.جي. ساندرس، المصدر السابق، ص٥٢.

[٢١]د. عبد الفتاح علي البوتاني، المصدر السابق، ص٢٢.

[٢٢]ميشيل شفالييه، المصدر السابق، ص٢٤.

[٢٣]د. عبد الفتاح علي البوتاني، المصدر السابق،ص ص٢٦–٣٢.

[٢٤]د.سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص٣٦٣.

[٢٥] ينظر مؤلفه: البحث عن نينوى، ترجمة: مخائيل عبد الله، دار سركون للنشر، د.م، ١٩٩٨.

[٢٦] نقلاً عن: هرمز م. أبونا، الآشوريون بعد سقوط نينوى، مذابح بدرخان بك في تياري وحكاري ١٨٤٣–١٨٤٦، مج٦، مشيغان، ٢٠٠١، ص٤٨.

[٢٧]نقلاً عن: د. عثمان علي، الكورد في الوثائق البريطانية، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، ٢٠٠٨، ص ص٢٨–٢٩.

[٢٨]نقلاً عن: هرمز م. أبونا، الآشوريون بعد سقوط نينوى، مذابح بدرخان بك...، ص٣٨؛ ينظر كذلك: ق. ب. ماتفييف (بارمتي)، المصدر السابق، ص٧١.

[٢٩] د.سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص٣٤٢.

[٣٠] المصدر نفسه، ص٣٥٠ وص٣٥٩. للتفاصيل عن رحلة لايارد وآراءه عن الكُرد وبدرخان بك والآشوريين ينظر: هنري لايارد، المصدر السابق.

[٣١] هرمز م. أبونا، الآشوريون بعد سقوط نينوى، مذابح بدرخان بك...، ص٥٠.

[٣٢] د. عثمان علي، المصدر السابق، ص ص٤٤.

[٣٣] المصدر نفسه، ص٤٧

[٣٤] المصدر نفسه، ص٤٤.

[٣٥] ينظر مؤلفه: الآشوريون بعد سقوط نينوى، مذابح بدرخان بك...، ص ص٦٠–٧٩.

[٣٦] ينظر مؤلفه: الحركة القومية الكُردية: نشأتها وتطورها، ترجمة: مجموعة من المترجمين، قدم له: مارتن فان بروينسن، إشراف وتدقيق: غازي برو، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٣، ص ص١٧٦–١٨٨.

[٣٧] ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص٣٣٠–٣٦٦.

[٣٨] نقلاً عن: د. عثمان علي، المصدر السابق، ص ص٤٠–٤١.

[٣٩] المصدر نفسه، ص٤٤.

[٤٠] المصدر نفسه، ص٤١.

[٤١] المصدر نفسه.

[٤٢] عدنان زيان فرحان، الكُرد الايزديون في اقليم كُردستان، مركز كُردستان للدراسات الإستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٤، ص ص١١١–١١٢.

[٤٣] هوگر طاهر توفيق، الكُرد والمسألة الأرمنية ١٨٧٧–١٩٢٠، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠١٢، ص٢٩٢.

[٤٤] ينظر مؤلفه: هرمز م. أبونا، الآشوريون بعد سقوط نينوى، مذابح بدرخان بك...، ص٩.

[٤٥] سنان هاكان، كورد وبەرخودانەكان ١٨١٧-١٨٧٦: لە بەلگەنامەكانى ئەرشيفى عوسمانيدا، وەرگێران: بەكر شوانى، پێشەكى وپێداچوونەوە: د.جەبار قادر، بلاوكراوەكانى ئاكاديميای كوردى، هەولێر، ٢٠١٢، ل١٧٤.

[٤٦] هەمان سەرچاوە، ل ١٧٣.

[٤٧] د. عثمان علي، المصدر السابق، ص٢٩.

[٤٨] ينظر: سنان هاكان، سەرچاوەی پێشووی ، ل١٦٩–١٧٨.

[٤٩] هەمان سەرچاوە، ل ١٧٧؛ د. عثمان علي، المصدر السابق، ص٢٩–٣١.

[٥٠] جليلي جليل، المصدر السابق، ص١٣٠. عن الموقف العثماني من هذه الأحداث ينظر كذلك: ن.أ.خالفين، الصراع على كُردستان: المسألة الكُردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: د.احمد عثمان أبو بكر، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٦٩، ص٦٠–٦٢.

[٥١] نوع من العملة الهندية، كانت تستخدم في الدولة العثمانية جراء تغلغل النفوذ البريطاني فيها خلال القرن التاسع عشر.

[٥٢] د. عثمان علي، المصدر السابق، ص١٧–١٩.

[٥٣] المصدر نفسه، ص١٩.

[٥٤] د.سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص٤٣٤.

[٥٥] المصدر نفسه، ص٣٤٢.

[٥٦] هرمز م. أبونا، الآشوريون بعد سقوط نينوى، مذابح بدرخان بك...، ص٣٣.

[٥٧] وديع جويده، المصدر السابق، ص١٨٤. ينظر كذلك: ق. ب. ماتفييف (بارمتي)، المصدر السابق، ص٦٦.

[٥٨] جليلي جليل، انتفاضة الأكراد ١٨٨٠، ترجمة: سيامند سيرتي، ، رابطة كاوا للمثقفين اليساريين الأكراد، بيروت، ١٩٧٩، ص٦١–٦٢.

[٥٩] م.س.لازاريف، المسألة الكُردية ١٨٩١–١٩١٧، ترجمة: اكبر احمد، مركز كُردستان للدراسات الإستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠١، ص٨٢.

[٦٠] د. عوديشو ملكو آشيثا، نكبة سميل ١٩٣٣: أسبابها وتأثيراتها المحلية والدولية، من منشورات رابطة الكتاب والادباء الآشوريين، دهوك، ٢٠١٣، ص١٨–١٩.

[٦١] ياسين خالد سردشتي، صفحات من تاريخ أثوريي كوردستان إبان الحرب العالمية الأولى: تحقيق تاريخي عن اغتيال الزعيم الأثوري بنيامين مار شمعون من خلال النصوص التاريخية، مراجعة وتقديم: د. عبد الفتاح علي بوتاني، مطبعة خبات، دهوك، ١٩٩٩، ص١٨–١٩.

[٦٢] م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص٣٣٢–٣٣٤.

[٦٣] كندال، الأكراد في ظل الإمبراطورية العثمانية، في: جيرارد شاليان وآخرون، الأكراد وكُردستان، ترجمة: حركة فتح الفلسطينية، فلسطين، ١٩٨٢، ص٥٦.

[64] DAVID GAUNT, Massacres Resistance, Protectors: Muslim-Christian Relation in Eastern Anatolia During World War I, GORGIAS PRESS, New Jersey, 2006, P. 62;

–بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: د.نور الدين حاطوم، ط٢، دار الفكر، بيروت–دمشق، ١٩٨٠، ص٥١.

[65] Dana Renee Smythe, Remembering the Forgotten Genocide: Armenia in the First World, MA Thesis University East Tennessee State, the faculty of the Department of History, 2001, P. 120-121;

–م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص٤٣٢.

[٦٦] هوگر طاهر توفيق، المصدر السابق، ص٤٢٩.

[٦٧] ينظر مثلاً: روهات الاكوم، شريف باشا: سنوات عاصفة لديبلوماسي كوردي، ترجمة: شكور مصطفى، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، ٢٠٠٤، ص١١٣–١٤٢؛ د.فؤاد حمه خورشيد مصطفى، القضية الكُردية في المؤتمرات الدولية، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، أربيل، ٢٠٠١، ص٣٣–٩٢.

[٦٨] بدأت فصول المسألة الأرمنية عند انعقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وفيه طالب الأرمن بتأسيس دولة قومية لهم في شمال كُردستان التي سموها بـ(أرمينيا الغربية) ولم تتوقف محاولاتهم إلا في سنة ١٩٢٠ بعد أن ضم مصطفى كمال أتاتورك تلك المنطقة إلى الجمهورية التركية الحديثة التي أعلن عنها لاحقاً في سنة ١٩٢٣. ينظر: هوگر طاهر توفيق، المصدر السابق.

[٦٩] المصدر نفسه.

[٧٠] دبليو. أي. ويگرام و وادگار. تي. أي. ويگرام ، المصدر السابق، ص٣٠٢–٣٠٣؛ الأب د.جي.سي.جي. ساندرس، المصدر السابق، ص٢٧.

[٧١] م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص٤٤٥؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص١٧٩–١٨٠؛ عصبة الأمم المسألة الخامسة ١٩٣٥، توطين الآشوريين عمل انساني واسترضائي، دار المشرق الثقافية، دهوك، ٢٠٠٩، ص٢٧.

[٧٢] م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص٤٤٦.

[٧٣] ياسين خالد سردشتي، المصدر السابق، ص٢٥–٢٦.

[٧٤] ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص٣٣٦؛ ق. ب. ماتفييف (بارمتي)، المصدر السابق، ص١٠٤–١٠٨.

[٧٥] فاخر حسن گولى، سمكويێ شكاك: ريبەرێ تەقگەرا رزگاريخوازاز گەلێ كورد، وەرگێران: شڤان قاسم حسن، هەولێر، ٢٠١٢، ل١١١-١٣٢، محمد رسول هاوار، سمكو (ئيسماعيل ئاغاى شكاك): بزووتنەوەى نەتەوايەتى كورد، چاپى دووەم، سليّمانى، ٢٠٠٥.

[٧٦] ينظر نص هذه المقابلة في: عثمان علي، الحركة الكُردية المعاصرة: دراسة تاريخية وثائقية، ط٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٠٨، ص٣٩٤–٤٠٢.

(٧٧) ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص٢٤١.

(٧٨) ياسين خالد سردشتي، المصدر السابق، ص٢٠.

(٧٩) عصبة الأمم المسألة الخامسة ١٩٣٥، المصدر السابق، ص١٢–١٣.

(٨٠) روبين بيت شموئيل، الآشوريون في مؤتمر الصلح:باريس ١٩١٩، ط٢، دار المشرق الثقافية، دهوك، ٢٠٠٨، ص ص٦٩–٧٦.

کورتی

کورد وئاشوری ل هەکاری پێکڤەژیان وهەڤرکی ل سەر ناسنامەیی ل چەرخێ نویدا

کێشا کێم نەتەوا وئاییینا ل کوردستانێ د چەرخێ نویدا گرنگیەکا مازن یا بخوڤە کرتی. و د تێگەهشتنا ڤێ ئاریشێ دێ گەلەك پەرسڤا وان پرسیارا کەت ئەوێن هەتا نوکە د ئالوزن ل میژووا کوردا ووان ونەتەوا ئەوێن ل کوردستانی ژیان ل سەر وی دەمی. بەلکو چێدبیت ڤەکولەر پەرسڤا گەلەك پسیارا بێ بینیت ل سەر ڤان ئاریشا ئەوێن کومەلگەها کوردی تێدا دبورت ل سەر ڤی دەمی.

ئێك ژ گرنگترین وان پەیوەندیا، پەیوەندێن کورد وئاشوریا ل هەکاری ل سەردەمێ نویدا، کو هەمی ڤەکولەر ل سەر وێ هندێ د روژدن کو ژیانا کوردا وئاشوریا ل هەکاری ژیانەکا ئارام وسروشتی بو هەتا ناڤەراستا چەرخێ نوزدێ دا. بەلێ ئەڤ پەیوەندیە چونە د پاشەروژەکا رەش ونەدیار دا، ووسا دیار بو کو هەڤریکا وان ل سەر ئەردی بو. ئەڤ ڤەکولینە هندەك تیروژکا ددەتە سەر پەیوەندییێن کوردا وئاشوریا د چەرخێ نویدا هەتا دویماهیا شەرێ جیهانی یێ ئێکێ. وتێدا دیار د کەت ئەو چێ خال بوون ئەوێن کومەلگەها کوردی وئاشوری ل هەکاری د گەهاندنە ئێك وژێکڤە دکرن.

Abstract

Kurds and Assyrians in Hakari Co-existence and identity conflict during the Contemporary Ere

The matter of minorities in Kurdistan works as an important effect during the contemporary era generally in the history of area. So, Understanding and studying the details of relationship between Kurds and those minorities add an important factor in high lighting on many question mark in which the history of nations who lived in Kurdistan during that time, suffered from. The researcher may find many answers on matters, in which the Kurdish society suffers from, so far.

The most prominent chapter of Kurds relationship with those minorities is the life's reality in which the Assyrians tribes lived it in Hakari during the contemporary era. Many studies have made it clear that the Kurdish-Assyrian relationships in Hakari were fine until the first half of nineteenth century. Then, it entered a dangerous divergence in which the two sides tried to possess the land. So, the relationship of Co-existence and good neighboring changed into relationship which were full of misunderstanding and the attempt to get the land for oneself which they lived together on it for centuries. This research highlights on those relationship between the two during the contemporary era until the first world war. In this research, the main lines are shown which were uniting or dispersing the Kurdish and Assyrian societies in Hakari.